عَالَمُ الايحاء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إذا مُجِّد المنطق أمام الانسان فى الحياة نشأ على احترام المنطق إلى حد كبير ، حتى ليعد العقل كأنه طاحونة منطق ، وحتى يظن أن وسائل التأثير مقصورة على مقتضيات المنطق وأن لا اقناع إلا الاقناع المنطق ، ويخفى عنه أثر الايحاء الذى يتخذ قوى النفس وميولها ونزعاتها وعواطفها وإحساسها وسائل يستخدمها بطرق تعجز أحياناً تتبع المنطق ونقصيه . وإذا اعتقد الانسان أن الحياة مؤسسة على أسس من المنطق فحسب ، وفاجأته بعكس هذا الاعتقاد إذا اختبرها ، صعب وقع تلك الخبرة فى نفسه . فان تجاريب المرء فى الحياة تعلمه أن الحياة ليست مؤسسة على الاقناع المنطق فحسب ، وإن المنطق نفسه يستخدم لكل غرض حتى غرض الايحاء ، وإن المنطق خليق أن يشبه بالخادم الذى يعمل فى بعض البيوت فيغسل أماكن دورات المياه تارة ، وتارة يطهى ويقدم الطعام للأسرة والزوار . والحقيقة هى أن للايحاء أثراً كبيراً فى الحياة حتى إنه ليسيطر على المنطق فى بعض الأحايين ويستخدمه لأغراضه ، وفى بعض الأحايين يغرى المرء بعكس ما يغرى به الاقناع المنطق

وقد يعتمد المرء على مقتضيات المنطق لنيل العدل بين الناس فى الحياة أو ما يراه عدلاً ؛ فاذا لم ينله انهارت دنياه ودهش إذا لم يكن عالما أن وراء حياة المنطق حياة أخرى تدين للايحاء ، وان عليه أن يحدد موقفه فى عالم الايحاء هذا ، وأن يتخذ عدته له وأن يبحث مجاهله وأسراره ، فان قيمة الناس والقضايا فى ذلك العالم ليست إلا بقدر ما تستطيع أن تستخدمه من وسائل الايحاء ومؤثراته ، ولا يخلو أحد فى الحياة من الخضوع لعوامل الايحاء والتأثر بها سواء فى ذلك التاجر والموظف

يحكى أن أشعب الشقى قد أولع الغلمان بما كسته يوماً فقال لهم ليصرفهم عنه : إن فى شارع كيت وكيت أفراح عرس تنثر فيها الدنانير على الجمهور ؛ فصدق الغلمان قوله وتركوه وجروا إلى المكان الذى وصفه فى قوله ، فلما رأى أشعب تصديق الغلمان أغراه ذلك وجرى خلفهم إلى المكان الذى وصفه فى قصته التى لفقها كى يصرف الغلمان عنه . والناس فى الحياة على شاكلة أشعب فيما يشيعون من الخير والشر عن أنفسهم أو عن غيرهم ، يقولون ما ليس بحق ثم يصدقونه إذا رأوا تصديق الناس له ، وهذا بسبب تأثير الايحاء فى أنفسهم . ولا يستطيع المرء أن يفهم الناس إلا إذا فهم هذا الايحاء ، وإلا إذا فهم أن النفس قد تجمع بين النقيضين فى وقت واحد ، فتجمع مثلاً بين أثر الايحاء وبين الدليل المنطق الذى ينقضه

خذ مثلاً آخر : يقول لك على إن أحمد قد هجاك ، وأنت تعرف أن علياً كاذب فيما نقل عن أحمد ، ولكن من المستطاع أن تجمع فى نفسك بين تكذيب على وبين الامتعاض من أحمد الذى تعرف براءته ، والامتعاض هذا من أثر الايحاء

والانسان يستطيع أن ينقل الكلام المحكى من عالم المنقول إلى عالم المدرك بالحس بسبب أثر الايحاء أيضاً ، حتى إنه لو قيل لجماعة إن انساناً ينظر اليهم شزراً لم تعدم بينهم من يرى ذلك أو يظن أنه يرى ذلك وإن لم يحدث ؛ وبعض الناس أكثر تأثراً بالايحاء من غيرهم . وقد حكى أن بعض فقراء الهنود يرمون بحبل إلى السماء فيظل ممدداً حتى يستطيع غلام أن يصعد الى طرفه الأعلى ؛ وفسر بعض الكتاب هذه القصة بأنها من أثر الايحاء فى نفوس بعض النظارة ، وبسبب أن المرء ينقل الكلام المنقول المحكى إلى عالم حسه فتنشأ دعوى المشاهدة . وهذه الصفة فى الانسان كثيراً ما تخدعه ويخدع بها غيره من الناس فى أمور كثيرة من أمور الحياة . وقد ينخدع بها ويصدقها وهو يعرف أنها وهم ؛ وقد يجمع بين تصديقها وتكذيبها فى نفسه فى وقت واحد

ويعتقد كثيرون أن الايحاء يؤثر فى الحيوان أثره فى الانسان . ومن المشاهد أن احساسات الانسان من ذعر أو حب أو فرح أو خوف قد تنتقل الى الكلاب مثلاً عن طريق الايحاء . وقد بالغ بعض الناس فادعى أن أثر الايحاء قد ينتقل الى الجماد أيضاً . وعلل إسقاط كهنة زنوج أواسط افريقية الأمطار بهذا الأثر . والعلم لله فى هذا الأمر

وترى الجهال فى الحياة يستخدمون وسائل الايحاء لمنفعة

النفس أو منفعة الصديق ومضرة العدو بطرق منظمة تحسبها نتيجة دراسة الايحاء والبحث فى علم النفس ، وما هى بنتيجة دراسة وعلم ، ولكنها السليقة التى تبصر الانسان بوسائل الايحاء . ولو علم الصائلون بايحائهم المقتدرون به الجالبون لأنفسهم ولأودائهم به الخير أن بين العامة من لا يقل قدرة عن الخاصة فى استخدام الايحاء ما افتخروا بمهارتهم فى استخدام وسائل الايحاء ولا عدوها من دلائل العقل والحكمة ، ولا حسبوا أنهم فازوا فى الحياة بهمها . ولو علم العقلاء الحكماء أن وسائل الايحاء أقرب الى النجاح من وسائل العقل ، وأن الايحاء يستمد من السليقة ما غالوا بعقلهم وحكمتهم كل الغالاة ، ولا حزنوا إذا أبصروا انخذال وسائل العقل وانهزامها أمام وسائل الايحاء

والتأثر بالايحاء من صفات القطعان ، سواء القطعان البهيمية والقطعان البشرية ؛ فاذا أحدثت بهيمة فى قطيع صوتاً أو اتخذت طريقاً تابعتها بهائم القطيع . وهذا هو ما يحدث أيضاً فى القطيع الانسانى بسبب أثر الايحاء والمحاكاة التى هى من أثر الايحاء . والقطيع البشرى أكثر تأثرا به بسبب إحساسه وخياله النامين . والايحاء قد يكون فى النوم أو فى اليقظة ، وكثيراً ما كان يعتمد السحرة على الايحاء وأثره فى النفس ، وتأثر الجسم بما تعتقده النفس

وقد تتذبذب وتتحول نفوس الناس ساعة بعد ساعة ، أو يوما بعد يوم تذبذباً لا حد له فى الأمور اليومية والاحساسات المتغيرة العارضة بسبب اختلاف أنواع الايحاء ومراميه ، حتى ليشبه تذبذبهم تذبذب السراب أو ذرات الهباء فى أشعة الشمس ، ولكنهم لا تأخذهم الدهشة من أنفسهم لأنهم لا يفكرون فى أنفسهم ولسرعة التذبذب كما لا تحس دورة الأرض ، ولأنهم ثابتون على بعض عقائد ومبادئ عامة لا مناص لهم من الثبات عليها ، فتلهيهم عن تذبذبهم المستمر بسبب اختلاف نزعات الايحاء ، والتذبذب النفسانى ينشأ عنه تذبذب جثمانى لاختلاف حركات الوجه والجسم حسب الأهواء والميول والنزعات النفسية . والبيع يشبه الاحتيال من ناحية الاعتماد على الايحاء إلى حد كبير ، وإن اختلفا فيما عدا ذلك ، ويسمى الناس وسائل البيع والاحتيال التى تعتمد على الايحاء الطريقة الأمريكية فى البيع ، والطريقة الأمريكية فى الاحتيال والنصب ، وهى طريقة شائعة فى النفوس عامة وفى كل أمر من أمور الحياة من تجارة أو مهنة أو صداقة أو محبة أو عداوة ، وإنما تختلف باختلاف النفوس ولا تمنع من اقترانها بنصيب من الفضيلة أو الصدق أو النزاهة أيضاً ، لأن النفس تجمع بين النقيضين . ويستخدم الايحاء كثيراً فى الاعلانات عن العقاقير والكتب والمؤلفات وغيرها

ومما يزيد الايحاء قوة أن المتأثر به الذى نقل أثر الايحاء إلى عالم حسه ومشاهداته كما أوضحنا يصبح شاهداً يستشهد به صاحب الايحاء كأن شهادته ليست نتيجة أثر ايحائه ، إذ المتأثر بالايحاء بعد أن ينقله إلى عالم حسه ويدعى أنه من أثر مشاهدته ومن أثر اقتناع حواسه ينأى بنفسه ويترفع عن أن يكون ذنباً لصاحب الايحاء تابعاً له ، فيدعى الاستقلال فى الرأى والمشاهدة ، حتى لقد يخدع صاحب الايحاء ، فيتأثر به صاحب الايحاء ، ويتنامى أن رأيه من أثر ايحائه

وقد أتقنت وسائل الايحاء للاعلان عن ممثلى وممثلات الصور المتحركة ، كما أتقنت وسائل الايحاء عند ما تنشر دولة الدعوة العالمية ضد دولة تعاديها أو تحاربها

والايحاء قد يطرد فى شكل سلسلة من الحلقات من انسان إلى ثان ثم إلى ثالث ورابع الخ ، حتى يختفى مصدر الايحاء وأوله ومنشؤه . وإذا كان ايحاء المرء لغيره سهلاً ميسوراً فايحاؤه لنفسه أسهل وأيسر ، لأنه أملك لها ؛ وقد يفطن إلى أن ايحاءه لنفسه مغالطة ، ولكنه يقدس تلك المغالطة كما يقدسها لو كانت من أثر المنطق والاقناع المنطقى ، بل قد يقدسها أكثر من تقديس ذلك الاقناع ، فترى أن وراء هذا العالم المادى الظاهر ، ووراء ما يبحثه به الباحث من منطق يوجد عالم آخر حقيق أن يسمى عالم الايحاء

عبد الرحمن شكرى

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصرياً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثالثة (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد فى الخارج ١٥ قرشاً